

## اجتهادات الإنسان الحدودى

نادرة المساهمات الفكرية العربية التى تُقدم أفكارًا جديدة لحل الأزمات المترتبة على سوء إدارة التعددية الثقافية والاجتماعية، برغم أن هذه الأزمات هى الأكثر حدة فى العالم العربى فى السنوات الأخيرة. تحتاج إدارة هذه التعددية رؤية واضحة، وتوافقًا بين النخب المُمثلة للجماعات الثقافية والاجتماعية، خاصةً فى المجتمعات الشديدة التنوع التى يوجد بها عدد كبير من الأديان والمذاهب والأعراق واللغات.

ولكن التعددية الثقافية والاجتماعية أُديرَت بأسوأ الطرق فى مجتمعات عربية من هذا النوع، يبدو كل منها مثل الموزاييك أو الفسيفساء أو القطعة المزخرفة. وأدى ذلك إلى انفجارها فى صورة حروب داخلية جلبت تدخلات إقليمية ودولية.

وعندما عُدتُ إلى كتابات عربية فى هذا الموضوع خلال الأسابيع الأخيرة لغرض بحث أكتبه لتقرير التنمية الثقافية العربية، الذى تُصدره مؤسسة الفكر العربى، وجدتُ مساهمات قليلة للغاية يمكن وصفها بأنها جديدة. ولكن تصورًا طرحه الأديب المعروف أمين معلوف فى كتابه (الهويات القاتلة) كان أكثر ما لفت انتباهى. وبرغم أن هذا التصور ليس جديدًا تمامًا، فقد طرحه فى صورة لم تخل من جدّة، وهو أن حل الأزمات المرتبطة بالتعددية الثقافية والاجتماعية يتوقف على ازدياد أعداد الأشخاص الذين يُدرك كل منهم تعدد انتماءاته. ويسمى معلوف هؤلاء

الأشخاص «حدوديين»، أى يعيش كل منهم وفق رؤيته لهم على خط التماس بين أكثر من جماعة يربطه بكل منها انتماء إلى هوية معينة.

وفكرته الأساسية، هنا، أن بين هؤلاء الأشخاص الحدوديين من يستطيعون الاضطلاع بمقتضيات تنوعهم الثقافى والاجتماعى بشكل كامل، ويؤدون دور حلقات الوصل بين الجماعات المتعددة، ويُشكّلون نوعاً من اللحمة أو اللحام فى المجتمعات المتنوعة التى يعيشون فيها. ولهذا التصور أساس يقوم عليه، إذ لكل إنسان فى العالم انتماءات أولية متعددة عائلية أو عشائرية ومحلية ودينية أو مذهبية وعرقية. وتبدأ المشكلة عندما يختزل شخص نفسه فى أحد هذه الانتماءات لأسباب لا محل لها الآن، ويتعصب له. وتتفاقم المشكلة بمقدار ما يزداد من يمكن أن نسميهم أشخاصاً مُختزلين، فى مقابل من يُطلق عليهم معلوف حدوديين يرفضون هذا الاختزال، ويُدركون تعدد انتماءاتهم وتنوعها.